المؤسسات الدينية وأثرها في تطور الدراسات القرآنية في القرن(8) هـ في بلاد الشام

أ.م.د.عبد الجواد سالم عثمان(*)

ملخص البحث

لا شك أن القرن الثامن الهجري كان له الأثر الواضح في تفجير الطاقات الفكرية وتغيير العادات الاجتماعية التي دخلت المجتمع الإسلامي نتيجة الاختلاط الحضاري .

لم تؤثر الأوضاع السياسية التي مرت على البلاد الإسلامية في هذا القرن من تطور المؤسسات العلمية والذي كان بدورة الأثر في تطور الدراسات القرآنية في كافة المجالات ،الذي أدى إلى إنعاش الحركة العلمية.

تباينت كتابات العلماء في هذا القرن واختلفت كتاباتهم تبعا لاختلاف مشاربهم وثقافاتهم فاتسمت هذه الكتابات بالسعة والشمول ولاسيما في الدراسات القرآنية .

ناقش البحث المؤسسات الدينية التي ظهرت في بلاد الشام في القرن الثامن الهجري في المبحث الأول وجاء المبحث الثاني في ذكر ابرز العلوم التي ظهرت في هذا القرن .

(*) أستاذ مساعد في قسم التربية الإسلامية،كلية التربية الأساسية ، جامعة الموصل.

The Religious in situations and its effect in the development of Qur'an studies at the century (8) [at the eight century in the Sham country] .

Asst. Pro. Dr. Abed Aljawaad Salem Othman

ABSTRACT

* The Hijra Eight century has the effect in The development of the scientific institution which was the it's role has the in the development scientific movement in this century .

* This research discussed the religious in situation which shows in AL- Sham at the Hijral eight century this is at the first study , the second study , was the Reminding the best sciences which appeared in this century .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم.

أما بعد:

فمما لاشك فيه أن القرن الثامن من الهجرة كان له الأثر الواضح في تفجير الطاقات الفكرية وتغيير العادات الاجتماعية التي دخلت المجتمع الإسلامي نتيجة للاختلاط الحضاري من جهة وبعد الناس عن الدين من جهة أخرى.

فالنهضة العلمية والفكرية لم تتوقف مسيرتها، بل استمرت تشق طريقها متأثرة بالأسس الأولى التي وضعها النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) في تفسيره وبيانه لآيات القرآن الكريم، مع تأكيده في أكثر من موضع لدراسة معانيه وفهمها.

ولم تؤثر في هذه النهضة في القرن الثامن ما أعترى الدولة من وهن سياسي بسبب الغزوات الصليبية المتكررة للبلاد الإسلامية، فضلا عن ضعف الأمراء

وتمزق الإمارات. فزادت عناية العلماء بالقرآن الكريم بشكل خاص لما له من أهمية عظيمة ومكانة بين سائر العلوم .

فتباينت كتاباتهم وتعددت مناهجهم تبعاً لاختلاف مشاربهم وثقافاتهم ، مما أدى الى إنعاش الحركة العلمية، ولاسيما علم الدراسات القرآنية التي اتسمت بالسعة والشمول، وكشفت ما دقّ فهمه وخفي سره مما يغيب إدراكه لدى العامة ، فكان أكثر العلماء يعولون على هذا القرن في كثير من الدراسات .

نناقش في هذا البحث المؤسسات الدينية وأثرها في تطور الدراسات القرآنية في القرن (8)هـ في بلاد الشام وقسم إلى تمهيد ومبحثين :-

المبحث الأول : المؤسسات الدينية في بلاد الشام .

المبحث الثاني : ابرز العلوم التي ظهرت في القرن الثامن.

الهوامش و المصادر والمراجع .

تمهيد

قبل البدء في ضمار البحث لابد من الإشارة إلى تسمية بلاد الشام للإطلاع على أقوال العلماء في معناها :

فالشام: بفتح أولهِ وسكون همزته، ويقال : الشأم، بفتح همزته، وهي على وزن نَهْر ونَهَر، وهما لغتان، ولهما لغة ثالثة، وهي الشّامُ بغير همزة، وتذكر وتؤنث(Ï)، وجاءت تسميتها بذلك من سام بن نوح أول من نزل بها، فجعلت السين شيناً، لتغيّر اللفظ العجمي، فأصبحت شام( )، وقيل إنما سميت بذلك، لأن قوماً من كنعان بن حام خرجوا عند تفرقهم فتشاءموا إليها أي أخذوا ذات الشمال (Ñ)، وقيل أيضا: أن أرض الشام مختلفة الألوان بالحمرة والبياض والسواد؛ لوجود جبال بيض وسود؛ كأنها شامات فسميت شاماً ، أو لكثرة قراها وتدانيها من بعضها البعض فشبهت بالشامات، وجاءت التسمية منها(Ô).

وأما الحدود فقد تباينت آراء الجغرافيين الأوائل في تحديد واضح لحدود بلاد الشام وطبيعتها الجغرافية فأعطى كل واحد منهم تحديداً لها حسب عصره الذي عاش فيه.

فحددها الأصطخري في كتابه المسالك والممالك (ت ما بين 318-321هـ) قال: "وأما أرض الشام فإن غربيها بحر الروم (البحر المتوسط) وشماليها البادية من آيلة إلى الفرات، ثم من الفرات إلى حد الروم وشماليها بلاد الروم، وجنوبها حد مصر وتيه بني إسرائيل"(Ó).

وذكر حدودها ياقوت الحموي فقال: "وأما حدها فمن الفرات إلى العريش المتاخم للديار المصرية، وأما عرضها فمن جبل طي من نحو القبلة إلى البحر المتوسط"(Ô).

وفي القرن الثامن ذكر أبو الفداء (ت 732هـ) تفاصيل واضحة عن الحدود فيقول: "والذي يحيط بالشام من جهة الغرب بحر الروم من طرطوس التي ببلاد الأرمن إلى رفح التي من أول الجفار بين مصر والشام، ويحيط به من جهة الشرق حد يمتد من حلب إلى باليس ويحيط قلعة الروم إلى سميساط إلى حصن منصور إلى بهسنا إلى مرعش ..."(Õ).

ورغم الاختلاف بين الجغرافيين في رسم حدود بلاد الشام فانه يمكن القول أن بلاد الشام تحاط بحدود طبيعية من جهاتها الأربع، إذ يحدها من الشمال جبال طوروس، ومن الغرب البحر المتوسط ،وتشكل البادية حدها الشرقي والجنوبي الشرقي، أما نهر الفرات فيشكل حدها الشرقي الذي يفصلها عن الجزيرة .

المبحث الأول: المؤسسات الدينية في بلاد الشام .

اهتمت الدولة الإسلامية بالنتاج الفكري، والقرآن الكريم مشحون بالآي الناطق بأن فيه (آيات لقوم يسمعون .. يتفكرون .. يعقلون .. يتذكرون)، ولقد صورت لنا الأخبار صوراً رائعة عن كيفية هذا التدبر عن الرسول (صلى الله عليه وسلم)

والصحابة (رضي الله عنهم). ففي العصر الأول كان المسجد النبوي المدرسة الأولى التي تخرج منها الصحابة على يد النبي عليه الصلاة والسلام.

توفي النبي (صلى الله عليه وسلم) والقرآن لم يجمع بين دفتين، فجمعه أبو بكر ثم عثمان (رضي الله عنهما) وتواصلت الفتوحات وتوسع انتشار المساجد وعنه توسعت دائرة الحياة الثقافية بمرور الزمن. فكثرت القراءات ودخل اللحن، فجمع عثمان (رضي الله عنه) المسلمين على قراءة واحدة "وهي القراءة التي كانت متعارفة بين المسلمين والتي تلقوها بالتواتر عن النبي (صلى الله عليه وسلّم) ، ثم جمع ت المصاحف الأخرى وأحرقها(Ö).

واختلف في عدد المصاحف التي استنسخت من المصحف الأمام، ففي البرهان: يروى "عن أبي عمرو الداني: أن عثمان كتب المصاحف فجعلها أربع نسخ، وبعث في كل ناحية واحدة، الكوفة، البصرة، والشام وترك واحدة عنده) (×). ويرى اليعقوبي أنها تسع(Îï)، وذكر ابن الجزري أنها ثمان(ïï)، وعن أبي دا وود أنها سبع(ï)، ويرى السيوطي أنها خمس (ÑÏ)، ففي كل هذه الروايات إشارة إلى أن بلاد الشام أرسل إليها مصحف. أخذ يدرس في المسجد الجامع (*) وكثرت فيه حلقات التدريس والمذاكرة بالأتساع في جميع العلوم.

ثم جاء عصر التدوين في أواخر القرن الثاني وبدايات القرن الثالث فأخذت هذه العلوم حيزاً آخر من الفرز بعد أن كانت مشتملة على درس واحد .

ومن هذه المؤسسات التي كان لها الأثر في تطور الدراسات القرآنية في القرن الثامن الهجري :

أ- الجوامع والمساجد:

١ - **الجامع الأموي**: - من أكبر جوامع المسلمين وأقدمها وأشهرها وأجملها وأتقنها، بناه الوليد بن عبد الملك سنة (96هـ) (Òï). كان لهذا الجامع دور كبير في الحياة الدينية ونشاط الحركة العلمية في بلاد الشام، وذلك بما احتضنته من تدريس

العلوم الدينية، والعلوم الأخرى وكذلك احتضانه لطلبة العلم بمختلف الأعمار لدراسة القرآن الكريم والحديث والتفسير والفقه وغيرها من العلوم الشرعية (ÏÕ)، وأبرز من درّس فيه الشيخ عز الدين بن عبد السلام، والشيخ عماد الدين محمد بن الشماع(ÏÔ).

٢ – **جامع حلب** :- بناه الخليفة سليمان بن عبد الملك وقيل: إن أخاه الوليد بن عبد الملك(ÏÕ) هو الذي بناه، ويعد مركزاً مهماً من مراكز العلم منذ قيامه، على الرغم من تعرضه للعديد من الهجمات من قبل الصليبيين وهجوم المغول فيما بعد. إلا أنه عاد لمزاولة نشاطه الثقافي والعلمي بمجيء المماليك (ÏÖ). فدرّس فيه علوم الفقه والحديث والقراءات واللغة والنحو والتفسير (Ï×)، وأبرز من درس فيه الشيخ شهاب الدين احمد الحموي(Ï).

٣ – **المسجد الأقصى**: - كان المسجد الأقصى مركزاً علمياً مهماً في عالمنا الإسلامي، وذلك لما بذله العلماء من جهود كبيرة في الحياة الثقافية والعلمية والفكرية فتخرج منه كثير من العلماء في شتى المجالات المعرفية، وأن رواد العلم كانوا يفدون إلى هذا المسجد من جميع الأفاق، وأبرز من درس فيه صلاح الدين العلائي وهو من أشهر المحدثين (Ï) . وتاج الدين عبد الوهاب السبكي ( ). وجمال الدين محمد بن النقيب(Ñ).

٤ – **جامع حماة**: - ويطلق عليه الجامع النوري، حيث أنشأه السلطان نور الدين الزنكي سنة (558هـ) (Ò)، وقد حظي باهتمام وعناية المماليك وأبرز من درّس فيه عفيف الدين إسحاق الحموي الذي انفرد بحلقة خاصة لتعليم القراءات السبع(Ó)، وأقرا بالجامع الإمام محمد بن أيوب بن بركات التاذفي (Ô). وحلقة الشيخ شرف الدين أبي القاسم البارزي(Õ).

فضلاً عن أن هناك مساجد وجوامع أخرى بنيت وبخاصة في العصر المملوكي الأول ومنها:

- **جامع بعلبك:** بني في زمن السلطان المملوكي المنصور سيف الدين أبي المعالي قلاوون سنة (682هـ)(Ö).
- **جامع الحيات (الدهشة):** شيده الملك عماد الدين أبو الفداء سنة (717هـ)(×).
- **مسجد السكاكيني:** بناه الأمير سيف الدين أشق تمر (تشتمر) المنصوري نائب السلطنة بحلب سنة (776هـ) .
- **جامع الحدادين:** بناه علي بن معتوق الدنيسري (ت 743هـ) في حلب(ÎÑ).
- **مسجد الرومي:** بناه الأمير منكلي بغا سنة (768هـ) وكان من أحسن الجوامع في حلب .
- **مسجد تنكز:** بناه الأمير تنكز سنة (717هـ) في دمشق(ÏÑ). وغيرها من الجوامع والمساجد.

ب- دور القرآن والحديث:

١- دور القرآن في دمشق

وجدت العديد من دور القرآن في بلاد الشام منها الدور الجزرية والرشائية في حدود سنة (444هـ) والوجيهية في سنة (690هـ) والسنجارية سنة (739 هـ) ودار الدلاقية سنة (847هـ) والصابونية سنة (868هـ) والخضيرية سنة (878 هـ)، ففي هذه الدور كان يدرّس القرآن الكريم(Ñ).

2- دور الحديث بدمشق

عني العلماء بدور الحديث فكان لهذه الدور الأثر في نشاط الحركة الفكرية فظهرت الكثير من المصنفات ورتبت ترتيباً فنياً مما يدل على أنه قد بذل فيها جهد كبير في ذلك منها ما رتب على الأبواب ومنها ما رتب على الأطراف ومنها ما رتب على مجاميع وغيرها، وممن درس بدمشق الحافظ تاج الدين محمد بن زين بن عساكر (ت 660هـ)(ÑÑ)، وشهاب الدين أبو شامة (ت 660هـ)(ÑÒ)، وتاج الدين عبد الرحمن الفزاري (ت671هـ)(ÑÓ)، وغيرهم. ثم أنشئت دور للحديث مثل دار الأشرفية

سنة (630هـ) ودار الأشرفية البرانية سنة (654هـ) ودار الحديث السكرية والسامرية والنفيسة(ÑÔ).

ج- المدارس

عنى السلاطين الأيوبيون بالمنشآت الدينية الخيرية فأقاموا المدارس وتابعهم في ذلك أهل الخير، وسار المماليك على سنة أسلافهم فأكثروا من بناء المدارس في المناطق التي يحكمونها كافة. وقد كانت أكثر مدارس بلاد الشام تُدرس علوم القرآن الكريم والحديث والفقه الحنفي، في حين أن أغلبها في مصر كانت تدرس على المذهب الشافعي .

وكان في دمشق مئة وعشرون مدرسة عرفت منها مدارس للشافعية وعددها اثنتان وستون مدرسة ، ومدارس للحنفية وعددها اثنتان وخمسون مدرسة ، ومدارس للمالكية وعددها أربع مدارس ، ومدارس للحنابلة بدمشق أيضاً وعددها اثنتا عشرة مدرسة(ÑÕ).

د- خزائن الكتب (المكتبات)

كان لخزائن الكتب (المكتبات) دور مهم في نشاط الحركة العلمية والفكرية في بلاد الشام وكان يشرف على هذه المكتبات موظف أطلق عليه (خازن الكتب) (ÑÖ)، وقدمت هذه المكتبات خدمة لطلاب العلم سواء أكانوا من داخل بلاد الشام أو من البلاد الإسلامية الأخرى باعتبار أن العلم لا يمكن فصله عن المكتبات و طلاب العلم .

المبحث الثاني: ابرز العلوم التي ظهرت في القرن الثامن.

كان للحياة السياسية أثر مهم في تطور الحياة الفكرية في بلاد الشام بعد انتقال مراكز الثقافة العربية إليها من بغداد وقرطبة والقيروان والبصرة والكوفة بعد أن واجهت هذه البلاد حروباً وغزوات خارجية.

فبغداد مثلاً كانت مركزاً للحضارة الإسلامية في العصر العباسي الأول، وكانت منهلاً لطلاب العلم على وجه المعمورة ،وأدى سقوطها سنة (656هـ) على يد المغول إلى انتقال هذه المراكز الثقافية إلى بلاد الشام ومصر، لكونها أكثر أمناً واستقراراً، وكذلك سقوط بلاد الأندلس على يد الفرنجة، مما أدى إلى هجرة العلماء من تلك البلاد، وأشار إلى ذلك ابن خلدون فقال: " وأما المشرق فلم ينقطع سند التعليم فيه بل أسواقه نافعة وبحوره زاخرة لاتصال العمران الموفور واتصال السند فيه، وان كانت الأمصار العظيمة التي كانت معادن العلم قد خربت مثل بغداد والبصرة والكوفة، إلا أن الله تعالى قد أدال منها بأمصار أعظم من تلك وانتقل العلم منها"(Ñ×).

حرصت بلاد الشام على مواجهة أعداء الإسلام من المغول (*) والصليبيين (*) مما أدى إلى استقرار سياسي ثم إلى تطور فكري في شتى المجالات فقامت دولة المماليك(*) في بلاد الشام ببناء دور للعلم من جوامع ومدارس وصرف العطاءات والرواتب للأساتذة والطلاب. وينقل ابن كثير هذا التطور الفكري للحركة العلمية التي نشطت في زمنه وكثرة المتعلمين والمعلمين والمهتمين في هذا المجال، فقال: "وفي صبيحة يوم الأربعاء 28 شوال سنة 767هـ حضر الشيخ عماد الدين ابن كثير ودرس التفسير الذي أنشأه ملك الأمراء نائب السلطنة الأمير سيف الدين منكلي بغا (رحمه الله تعالى) من أوقاف الجامع الذي جددها في حال نظره عليه أثابه الله، جعل من الطلبة من سائر المذاهب خمسة عشر طالباً لكل طالب في الشهر عشرة دراهم وللمعيد عشرون ولكاتب الغيبة عشرون وللمدرس ثمانون"(Õî).

يدل النص السابق على عناية الملوك والأمراء بالعلم والتعلم مما جعل هذه البلاد مقصداً لطلاب العلم من كل مكان، وإلى جانب هذا كانت بلاد مصر والشام مترابطة بروابط الوحدة"(Õï)، حيث كان الأمير والقاضي والعالم يوكل إليهم الأعمال مرة في مصر ومرة في بلاد الشام، فكان لهذا الانتقال ثمراته الفكرية والثقافية والاجتماعية. فكانت دمشق في القرن الثامن محطة علم، تخرج منها كثير من العلماء كابن تيمية،

وابن قيم الجوزية، وجمال الدين المزي، وآخرين، ونقل السيوطي عن ذلك فقال: "إن دمشق كثر بها العلم في زمن معاوية ثم في زمن عبد الملك وأولاده وما زال بها فقهاء ومحدثون ومقرئون في زمن التابعين وتابعيهم ... وهي دار قرآن وحديث وفقه وتناقص بها العلم في المئة الرابعة والخامسة وكثر بعد ذلك ولاسيما في دولة نور الدين وأيام محدثها ابن عساكر . . ثم كثر بعد ذلك بابن تيمية والمزي وأصحابهما"(Ò).

ومدينة حماة أصبحت هي الأخرى مدينة علم وأدب، ويذكر "أن الملك عيسى بن عبد الملك العادل شرط لكل من يحفظ المفصل للزمخشري مئة دينار وخِلعه فحفظه لهذا جماعة(ÒÑ)"، وكذلك المسجد الأقصى كان من أهم الحواضر العلمية في بلاد الشام ،ودوره البارز منذ بداية التاريخ الإسلامي، بالإضافة إلى الجوامع والمدارس التي كانت تنعقد فيها حلقات التعليم في الحقب السابقة(Ò9).

ومما تجدر الإشارة إليه أن النشاط الفكري والعلمي أدى إلى تقدم العلوم في مختلف فروعها العلمية والإنسانية، فبرز علم الطب، وعلم الهندسة، وعلم الكيمياء، وغيرها. فضلا عن ذلك فقد أخذت العلوم الشرعية الصدارة بين هذه العلوم، وألفت مؤلفات منها ما هو مطبوع ، ومنها ما هو مخطوط ،ومنها ما أتلف بسبب الحروب، ولاسيما حملة هولاكو (*) وتيمورلنك(*) التي استهدفت البلاد الإسلامية عامة ،وبلاد الشام خاصة ، وتجدر الإشارة إلى أن العلوم الإسلامية ازدهرت في ظل الدولة المملوكية، وأدت إلى بروز الكثير من المفسرين والقرّاء والمحدثين والفقهاء(Ò9).

ومن هذه الدراسات التي ازدهرت في القرن الثامن الهجري :

أولاً: علوم القرآن الكريم

ومن أبرزها:–

أ - علم التفسير

التفسير لغة: هو البيان والإيضاح والظهور وكشف المغطى (Òô)، واصطلاحاً هو علم يعرف به فهم كتاب الله تعالى المنزل على نبيه محمد (صلى الله عليه وسلّم) وبيان معانيه واستخراج أحكامه(Òõ).

كان التفسير مرتبطاً بنزول القرآن الكريم فكان الرسول (صلى الله عليه وسلّم) المفسر الأول لآيات القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ( ). فبرز عدد من الصحابة واصلوا مسيرة التفسير ومن بينهم(Ò×)، ابن عباس (رضي الله عنهما) ببركة دعاء النبي (صلى الله عليه وسلّم) فقال: "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل" (Óî)، وعلي ابن أبي طالب وعبد الله بن مسعود (رضي الله عنهما) وغيرهم. وكان للفتوحات الإسلامية الأثر في تطور التفسير فأخذت البلاد المفتوحة بإنشاء مدارس لتعليم القرآن الكريم وكان من أبرزها بلاد الشام(*)، وأخذ عنهم التابعون وأتباعهم هذه المسيرة. مما أدى إلى ظهور ثلاثة اتجاهات في التفسير:–

الأول: التفسير بالمأثور أو الرواية عن طريق الرسول (صلى الله عليه وسلّم) والصحابة والتابعين وتابعي التابعين معتمداً بالدرجة الأساس على القرآن والسنة.

والثاني: التفسير بالرأي وهو التفسير القائم على الاجتهاد.

والثالث: تفسير الفرق الإسلامية كالمعتزلة والمتصوفة التي لجأت إلى التأويل في تفسير القرآن لتعطي معنى غير المعنى الظاهر(Óï).

تطور علم التفسير في العهد المملوكي الأول في البلاد الشامية، فأخذت دروس التفسير الصدارة بين الدروس الدينية الأخرى، فقام العلماء بإلقاء هذه الدروس متفاوتين بمقدار تفسيرهم للقرآن، منهم من فسّر القرآن كاملاً، ومنهم من فسّره أجزاءً، ومنهم من فسّره سوراً وآيات، وكان هذا التفسير حسب مناهل العلماء ومشاربهم، فكان منهم اللغوي، والفقيه.

ومن أبرز المفسرين الذين كانت لهم أثارا تفسيرية في هذه الفترة :

- **ابن تيمية : احمد بن عبد الحليم** (661-728هـ) من آثاره:

1- مقدمة في أصول التفسير.
2- تفسير سورة الإخلاص.
3- تفسير سورة النور: طبع أكثر من طبعة. (ó).
4- تفسير سورة الكوثر: طبع في سنة (1343هـ)(óÑ).
5- تفسير القرآن (مجموع تفسير ابن تيمية أو التفسير الكبير) (óò).
6- تفسير المعوذتين (óó).

ولابن تيمية كتب مطبوعة تقارب (63) كتاباً في كافة العلوم(óô).

- **الخازن : علي بن محمد إبراهيم** (678-741هـ):

من آثاره: لباب التأويل في معاني التنزيل (ويعرف بتفسير الخازن) (óõ).

- **ابن القيم الجوزية:محمد بن أبي بكر** (691-749)هـ:

جمع غير واحد آثار ابن القيم منها: كتاب ابن قيم الجوزية –حياته وآثاره– تأليف بكر بن عبد الله أبو زيد، طبع في بيروت، المكتب الإسلامي، ط 2، (1403هـ-1983م)، من آثاره:

1- مدارج السالكين في منازل السائرين في تفسير القرآن (óö).
2- تفسير المعوذتين(ó×).
3- التفسير القيم للإمام ابن القيم(ôî).

4- أمثال القرآن وأمثال الحديث(ÔÏ).

- **السمين الحلبي** (...-756هـ): من آثاره :

1- الدر المصون فى علم الكتاب المكنون.

* حقق على يد الدكتور احمد محمد الخراط، من أول القرآن الكريم إلى نهاية المائدة في رسالة دكتوراه ثم حقق النصف الثاني المتبقي واستغرق العمل عشرين سنة في أحد عشر مجلد وطبع الكتاب في عدة طبعات.

2- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ.

* دراسة وتحقيق الجزء الأول، أطروحة دكتوراه تقدم بها صالح مهدي عباس إلى كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، (1412هـ-1992م).

- **ابن كثير (701-774)هـ:** تفسير القرآن العظيم طبع طبعات كثيرة منها:

* طبع لأول مرة بهامش (فتح البيان في مقاصد القرآن) لصديق حسن خان، سنة (1302هـ) في بولاق(Ô).

* طبع مع تفسير البغوي (معالم التنزيل) بعناية السيد محمد رشيد رضا في القاهرة، سنة (1342هـ) في جزأين على نفقة الأمير عبد العزيز أمير نجد.

* طبع في مطبعة المنار، سنة (1347هـ) في تسعة أجزاء وبأسفل صفحاته (معالم التنزيل) للبغوي، وبآخره فضائل القرآن.

وقد اختصر هذا التفسير في عدة مختصرات منها:

1- اختصره الشيخ احمد محمد شاكر، فقد جرده من الأسانيد والإسرائيليات وسماه (عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير) ومات قبل أن يتمه. طبع بدار المعارف، القاهرة عام (1956م).

2- محمد علي الصابوني، وسماه (مختصر تفسير ابن كثير)، طبع بدار القرآن الكريم، عام (1974م).

3- محمد نسيب الرفاعي، وسماه (تيسير العلي القدير)، طبع بدار الكتب.

4- محمود محمد سالم، وسماه (التيسير خلاصة تفسير ابن كثير)، طبع بمطابع القاهرة.

ب- علم القراءات

القراءات لغة: هي مصدر قرأ، ومعناه الجمع والضم، واصطلاحاً: هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتبة الحروف أو كيفيتها من تخفيف أو تثقيل وغيرهما (ÔÑ).

ففي أواخر القرن الأول وبداية القرن الثاني انتشرت القراءات وكثرت مدارسها ومذاهبها، حتى جاء عصر ابن مجاهد (ت 324هـ)، فاختار سبعة من تلك المذاهب لمطابقتها للشروط (*) التي وضعها ثم أصبحت عشرة وأربعة عشر. نالت هذه القراءات عناية كبيرة من قبل العلماء وبخاصة في القرن الثامن الهجري، فصنفوا بذلك كتباً ومؤلفات كان لها الأثر الكبير في هذا العلم ومن أبرز من كتب في هذا المجال:

- شيخ الإسلام شمس الدين محمد بن محمد بن علي الجزري (ت 833هـ) ومن كتبه في القراءات :

(النشر في القراءات العشر)
(تخيير التيسير في القراءات العشر)
(غاية المهرة في الزيادة على العشرة)
(المقدمة فيما على قارئ القرآن أن يعلمه)
(منجد المقرئين ومرشد الطالبين)
(الدرة المضيئة في القراءات العشر)
ونَظْمَ (طيبة النشر في القراءات العشر)(Ôò).

- محمد بن أيوب بن عبد القاهر (ت 705هـ). كان شيخ القراء بحماة حيث قرأ على شيوخها بالسبع، فقرأ بنفسه القراءات وتميّز بها(Ôó).
- إبراهيم بن محمد الحموي (ت 771هـ) صنف علم التجويد ودقائق التحرير(Ôô).

– شرف الدين احمد بن إبراهيم الفزاري (ت 705هـ) قرأ القراءات لنافع وابن كثير وأبي عمرو على السخاوي ثم أكمل القراءات على الشيخ شمس الدين الأنصاري(Ôq̃).

– إبراهيم بن عمر بن إبراهيم الجعبري (ت 732هـ). شرح الشاطبية و(كنز المعاني شرح حرز الأماني – مخطوط) في التجويد و (نزهة البررة في القراءات العشرة)(Ôq̈).

ثانياً: علم الحديث

لم تكن السنة النبوية مدونة في بداية الأمر مخافة اختلاطها بالقرآن الكريم، ثم جاء الأمر بتدوينها محصورة بعدد من الصحابة الكرام. إلى أن جاء زمن عمر بن عبد العزيز فأمر بتدوين السنة في ضمن ضوابط وشروط.

وعلم الحديث ينقسم إلى قسمين:

الأول: علم الرواية: وهو علم يبحث فيه عن كيفية اتصال الأحاديث بالرسول (صلى الله عليه وسلّم) من حيث أحوال رواتها ضبطاً وعدلاً ومن حيث السند انقطاعاً واتصالاً.

الثاني: علم الدراية: ويبحث عن المعنى المفهوم من ألفاظ الحديث وعن المراد منها مبيناً قواعد اللغة العربية وضوابط الشريعة ومطابقاً لأحوال الرسول (صلى الله عليه وسلّم)(Ô×).

عنى علماء القرن الثامن في بلاد الشام عناية كبيرة بعلم الحديث، فبرز علماء كانوا ملمين بكثير من العلوم إلى جانب الحديث النبوي، ومنهم ابن كثير الذي كان فضلاً عن كونه مفسراً ومؤرخاً، ومحدثا، ولغوياً، وغيره كأمثال ابن تيمية وابن قيم الجوزية ، والأمام النووي.

لم تكن رحلة طلب الحديث مقتصرة على البلاد الشامية فحسب، فمكة والمدينة المنورة كانتا المنهل الأول لذلك ثم العراق ومصر فكان طلاب العلم منتشرين في تلك البقاع لغرض الحصول على حديث نبوي واحد.

ثالثاً: العلوم اللغوية

إلى جانب علوم القرآن والحديث النبوي كان هناك علم اللغة، فهو مرتبط بهما ارتباطاً دينياً ، ويعود سبب ذلك إلى أن الإسلام حين انتشر دخلت فيه أجناس شتى فاحتاجوا لهذا العلم لمعرفة دينهم الجديد. فضلاً عن أن حكام بلاد الشام كانوا من المماليك، فقد قاموا بتعضيد اللغة من خلال إقبالهم على اللغة وأدبها وتشجيع العاملين بها وتقريبهم من السلطة، فأدى هذا الدور إلى انتعاش هذه العلوم في جميع مجالاتها اللغوية والصرفية والبلاغية ،ولعل من أبرز العلماء الذين اشتهروا بهذه العلوم :

- احمد بن عبد الرحمن بن عبد الله المعروف بابن هشام (ت 835هـ)

ومن كتبه: مغني اللبيب عن كتب الاعاريب و عمدة الطالب في تحقيق تصريف ابن الحاجب و رفع الخصاصة عن قراء الخلاصة و الجامع الصغير والجامع الكبير و شذور الذهب والإعراب عن قواعد الإعراب و قطر الندى والتذكرة و التحصيل والتفصيل لكتاب التذييل وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ونزهة الطرف في علم الصرف وموقد الأذهان في الألغاز النحوية(ÕÎ).

- أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي المعروف بابن حجة الحموي (ت 837هـ) وقبره في حماة معروف ومن كتبه: خزانة الأدب في شرح بديعية له، و ثمرات الأوراق و كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام و حديقة زهير و قهوة الإنشاء و بلوغ المرام من سيرة ابن هشام و بلوغ المراد من الحيوان والنبات والجماد و الثمرات الشهية من الفواكه الحموية و تأهيل الغريب (ÕÏ).

رابعاً: علم التاريخ

لم يقل شأن علم التاريخ عن باقي العلوم، بل نال اهتمام ملوك الشام، حيث قام علماء التاريخ بتدوين أعمال ملوكهم وكذلك بتدوين طبقات علمائهم وقام قسم منهم بتدوين تاريخ مدنهم وأحوالها، وبرز منهم ابن كثير وله البداية والنهاية في

التاريخ وابن حجر العسقلاني (ت 852هـ)، صاحب الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة. فضلاً عن علم التاريخ فقد ظهرت الكثير من العلوم والتي اعتنى بها العلماء عناية ملحوظة تدل على اهتمامهم الواضح بذلك.

هوامش البحث

(Ï) لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين بن منظور،(ت 711هـ) ، تحقيق عبد الله علي الكبير و محمد احمد حسب الله وهاشم محمد ، إصدار دار المعارف (د. ت):(12/315-316) ؛ وتهذيب الأسماء واللغات، أبو زكريا محي الدين النووي (ت 676هـ) دار الكتاب، بيروت، (د.ت):(2/171).

( ) الروض المعطار في خـــبر الأقطار، محـــمد عبد المـــنعم الحمـــيري (ت 900 هـ) ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، بيروت، 1975 ، مؤسسة ناصر للثقافة ، ط2 ،0 198م: (ص335).

(Ñ) المسالك والممالك، ابن إسحاق الأصطخري الكرخي (ت 450 هـ) تحقيق الدكتور محمد جاب عبد العال، مراجعة محمد شفيق غربال، الناشر، دار القلم بيروت (1381هـ – 1961 م): (ص48).

(Ò) الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، محمد بن علي بن إبراهيم بن شداد، دمشق،(د.ت)، 1953م. (1/5-6).

(Ó) المسالك والممالك (55-68).

(Ô) معجم البلدان ياقوت الحموي ، دار أحياء التراث بيروت (د.ت)، (2/212).

(Õ) تقويم البلدان ، عماد الدين إسماعيل بن نور الدين(ت 732هـ)، طبع دار السلطانية، (د.ت)، (225).

(Ö) ينظر: البرهان في علوم القران، بدر الدين الزركشي ، تحقيق احمد علي الدمياطي، (دار الحديث الفكر، 2006م) ،(164).

(×) المصدر السابق (169).

(ÏÎ) تاريخ اليعقوبي،(مطبعة النجف، 1358هـ) (160/2).

(ÏÏ) النشر في القراءات العشر ، (المكتبة العلمية ، بيروت، (د.ت)،(7/1).

(Ï) المصاحف، السجستاني، عبد الله بن أبي داود، (ت316هـ)، تصحيح د. أرثر جفري، (القاهرة، طـ 1355،1هـ – 1936م)،(ص34).

(ÏÑ) الإتقان في علوم القران،(بيروت، 1973م)، (60/1).

(*) فقد كانت تقام فيه الصلوات الخمس وصلاة العيدين وكان دار قضاء.

(ÏÒ) رحلة ابن جبير ، (بيروت، والقاهرة،(د.ت))،(248–249)؛ ورحلة ابن بطوطة (بيروت، والقاهرة،(د.ت))، (91).

(ÏÓ) رحلة ابن بطوطة (94).

(ÏÔ) خطط الشام، محمد كرد علي المجمع العربي، دمشق، (د.ت)،(91/6).

(ÏÕ) رحلة ابن جبير (227–228) ورحلة ابن بطوطة (65–66).

(ÏÖ) السلوك لمعرفة دولة الملوك، تقي الدين المقريزي(القاهرة، ط 1، 1958م)،(775/1).

(Ï×) وفيات الاعيان لابن خلكان (681 هـ)، تحقيق محي الدين عبد الحميد (القاهرة، 1948م)،(341/2).

(Î) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لأبي الفلاح عبد الحي ابن العماد الحنبلي (ت 1089هـ)،(بيروت، (د.ت).(315/6)، الإعلام ، خير الدين الزركلي،(بيروت، ط3، 1957م)، (180/1).

(Ï) البدر الطالع بمحاسن القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني، (مصر، 1348هـ)،(245/1)، وشذرات الذهب، ابن العماد (190/6).

( ) طبقات الشافعية الكبرى، تقي الدين السبكي،(ط2،بيروت،د ت)، (36/10).

(Ñ) العبر في خبر من غبر ، أبو عبد الله محمد بن احمد الذهبي (ت 748هـ) ، تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زعلول ، (بيروت، د.ت)،(389/5).

(Ò) الحياة العلمية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ، احمد أحمد بدري(القاهرة،د ت)، (102).

(Ó) الوافي بالوفيات، خليل بك الصفدي(ط2،بيروت،1381هـ) ،(241/3).

(Ô) معرفة القراء الكبار، شمس الدين الذهبي، تحقيق محمد سعيد جاد الحق ، مطبعة الحديثة، القاهرة، 1969م،(598/2).

(Õ) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين ابو المحاسن يوسف الاتابكي، (ط 1، القاهرة، 1362هـ – 1933م)، (315/9)؛ وشذرات الذهب، ابن العماد (119/6).

(Ö) معرفة القراء، الذهبي (567/2) .

(×) خطط الشام، كرد علي (61/6).

(ÑÎ) تاريخ ابن الوردي(بيروت ،د ت)، (74/8).

(ÑÏ) الدارس في تاريخ المدارس، عبد القادر بن محمد النعيمي (ت 927هـ)،، (دمشق،1370هـ– 1951م) (421/2).

(Ñ) خطط الشام، كرد علي (70/6–72).

(ÑÑ) تاريخ دمشق، ابن عساكر (76/2)، والضوء اللامع، السخاوي (4/7).

(ÑÒ) العبر، الذهبي (102/2).

(ÑÓ) معجم المختص (بالمحدثين): شمس الدين الذهبي، تحقيق : د. محمد الحبيب الهيلة ، (ط 1، المملكة العربية السعودية، 1408هـ – 1988م)، (128).

(ÑÔ) خطط الشام، كرد علي (72/6–74).

(ÑÕ) خطط الشام، كرد علي (76/6–100).

(ÑÖ) بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى ، سعيد عبد الفتاح عاشور ،(بيروت، 1977)، (452).

(Ñ×) مقدمة ابن خلدون، المسمى، (بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)؛ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت 808 هـ)، طبع دار العودة –بيروت، 1981م)،(343/1).

(*) تغلب المسلمون على المغول في معركة عين جالوت مما أدى إلى اندحارهم ووقف تقدمهم (النجوم الزاهرة، تغري 7–97).

(*) وبعد عدة معارك من قبل صلاح الدين الأيوبي انتصر عليهم وأوقف تقدمهم ينظر: النجوم الزاهرة، تغري (72/7–73).

(*) قامت دولة المماليك في منتصف القرن السابع الهجري بعد انهيار دولة الأيوبيين فقد قام صلاح الدين الأيوبي بإسكان المماليك السواحل الشمالية لحماية بلاد الشام من هجمات متكررة من الصليبيين (ينظر: السلوك، المقريزي (236/2).

(ÒÎ) البداية والنهاية، أبي الفداء ابن كثير الدمشقي (ت 774هـ)، تحقيق الدكتور احمد أبو تلحم ،(بيروت، د.ت)، (321/14).

(ÒÏ) ينظر: خطط الشام، كرد علي (138/2).

(Ò) خطط الشام، كرد علي (50/4).

(ÒÑ) خطط الشام (51/4).

(ÒÖ) ينظر: الحياة العلمية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ، احمد احمد بدري (القاهرة،د،ت)، (11).

(*) عندما دخل هولاكو بغداد أحرق الكثير من المكتبات وألقى قسماً من الكتب في نهر دجلة.

(*) عندما دخل تيمور بلاد الشام أتلف الكثير ممن الكتب. ينظر: الأعلام ، الزركلي (93/1).

(ÒÓ) ينظر: الدرر الكامنة، ابن حجر (1/1) وما بعدها.

(ÒÔ) لسان العرب : (55/5)، زاد المسير في علم التفسير ، لأبي فرج الجوزي (ت 596هـ)، (المكتبة الإسلامية ، ط1، 1384هـ)،(4/1)، الإتقان ، السيوطي (173/2)، التفسير والمفسرون، الدكتور محمد حسين الذهبي، دار الكتب الحديثة، ط3، (1396هـ – 1976م). التفسير والمفسرون، الذهبي (31/3).

(ÒÕ) المفردات في غريب القران، أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني (ت502)هـ تحقيق محمد سعيد كيلاني،(بيروت ، د.ت)، (571/2)، البرهان ، الزركشي (131/1). الإتقان ، السيوطي (173/2)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، حاجي خليفة مصطفى عبد الله ، (بغداد، د.ت)،(427/1).

(ÒÖ) سورة النحل، الآية (44).

(Ò×) الإتقان، السيوطي (174/2).

(ÓÎ) مسند الإمام أحمد بن حنبل (ت 241)، شرح احمد محمد شاكر، (ط 5 ، بيروت، 1405 هـ)، (40/5) برقم (3102).

(*) إلى جانب ذلك كانت مدرسة المدينة هي الأصل ومدرسة مكة ومدرسة العراق ومدرسة اليمن.

(ÓÏ) ينظر: مباحث في علوم القران، الدكتور صبحي الصالح،(ط 5،بيروت، 1968م)،(291-293).

(Ó) معجم الدراسات القرآنية ، ابتسام مرهون الصفار،(جامعة بغداد 1984م)،(151)؛ ذخائر التراث العربي ، عبد الجبار عبد الرحمن ،(ط 1 ، الجمهورية العراقية ، 1401هـ – 1981م)، (62/1).

(ÓÑ) معجم الدراسات (150).

(ÓÒ) المصدر السابق (154).

(Óó) المصدر نفسه (161).

(Óô) ذخائر التراث (1/61-68).

(Óõ) معـــجم الدراســـات (189)؛ و ذخـــائر التراث العربي ، عبد الجبار عبد الرحمن ، الجمهورية العراقية ، ط 1 ، (1401هـ - 1981م)، (1/487)؛ ومعجم المطبوعات العربية (809).

(Óö) ينظر: أمثال القران وأمثال الحديث، ابن القيم الجوزية (692-751هـ)، دراسة وتحقيق: الدكتور، موسى بناي العليلي، شطري، (بغداد، د.ت).(27).

(Ó×) أمثال القرآن وأمثال الحديث (27)؛ ومعجم الدراسات (161).

(Ôî) ذخائر التراث (1/225).

(Ôï) المصدر السابق (1/225).

(Ô) ينظر: معجم المطبوعات العربية (226).

(Ôñ) البرهان، الزركشي (1/318).

(*) شروط القراءة الصحيحة: التواتر وموافقتها لرسم المصحف وموافقتها للعربية. ينظر: الإتقان، السيوطي (1/81).

(Ôò) غاية المهرة، ابن الجزري (2/247)، وهدية العارفين، البغدادي (2/187)، والأعلام، الزركلي (7/274)، ومعجم المؤلفين، كحالة (11/291).

(Ôó) معرفة القراء، الذهبي (2/718)، وتذكرة الحفاظ (4/479)، والدرر الكامنة، ابن حجر (4/14).

(Ôô) غاية المهرة، ابن الجزري (1/30).

(Ôõ) البداية، ابن كثير (14/36)، والدرر الكامنة، ابن حجر (1/94)، والنجوم الزاهرة، تغري (8/217).

(Ôö) البداية، ابن كثير (14/160)، والدرر الكامنة، ابن حجر (1/50)، والإعلام، الزركلي (1/61).

(Ô×) تدريب الراوي، جلال الدين السيوطي (ت 911)هـ،(بيروت، ط 1، 1409هـ)،(40/1).

(ÎÕ) الإعلام، الزركلي (43/2).

(ÏÕ) المصدر السابق (43/2).